المقامة اللغوية

للأستاذ ابراهيم الأبياري

أمردود على حديث قوى به سبقوا وما سطرت غيا

ألقاك أيها الوديد على موروث عى به واعيه ، وند عن باغيه؛ لا هو بالآحاد فيجد ، ولا بالمئات فيمد . أنت عنه صادف ، وفيه عازف

وقبلك بلونا الوارثين :

طوى الدهر عنهم ما أفادوا فأعدموا

حين راموا مرامك ، وقعدوا مقعدك

وغير هذا ما تمهد ، فمالك اليد المبسوطة في صرف ، ولا أنت بزيك ترف ؛ فترهبك النزر ، وتخشى المترية مع العمر . وهل أنت إلا شحشاح ، من شحاح تأخذ النزر ، وتبقى الكثر . هذا إلى مغيبات لم تفضض لها ختما ، ومكنونات لم تشهد لها رسما ، فما أولاك أن تردني إلى قول القائل :

ألا جحجح فما بالرأى تدلى ولا أنت الملوح بالصواب

ولو غير اللقة أحمل لك ، وأنشد دون إعزازك ، لتركتك في هواك ، وأسلمتك إلى مغواك

وغاب عنك أنك والصرف على حسرة ، فكلاكما مضياع ، هو بما خرج عنه ، وأنت بما حرمت منه . غير أنه عز بما ذاق مع الإنفاق ، وأنت لهيف حسير على فوت ما شاق . وما أبعد ما بين الحسرتين

وتسألني عما لك من نشب لا أحصيه ، ورزق ساقه الله إليك ولا تدريه ؛ فعرفتك بنفسك أن ليس لك سلف أتلدوا ، ولا خلف أطرقوا ؛ فما بالي أدينك في غير دينة ؛ وأشينك دون مشينة

وفاتك أنك وارث القاموس بما طم ، ومالك المحيط وما ضم

وما هو إرث يا أمام قليل

وأخاف أن تهمني أهازلك

وما الخير إلا أن أقول فأصدقا

وتهتال ، في هذا المآل ؛ وتطالعني عيناك بما يهجس في صدرك وتوسوس به نفسك .

تريد بياناً أو مزيداً من الفهم

وأوجس أن أبلبلك ؛ فتزحم ربة البحار ، تنازعها ما انتزعت منك ، فتهيج على أهلك هيجاء تذهب بالحرث والنسل

وغيرك — حماك الله — يقرى بالأنشاب ، يجد فيها جاهته وأنت نشبتك ما تحوى الدفاتر ، واعتزاؤك إلى ما تضم القماطر

هذا إرثك الذى ترث لا ورق فيه ولا نضار

وتجهمني يا ابن إنس وبك غير الرضا عن نصيبك من الحياة

أو يضارك أن أجعلك من الوارثين ، وأن أسلكك في زمرة المالكين . أليست لك من اللغة تلك الكلمات التي لا تحصى ، والأساليب التي لا تستقصى

أو لست وارثها ومالك شأنها

وإليك أمر بقائها وفنائها

وإن من صب صبك ، وحاز حوزك ، خليق أن يبكي في الترعاية الأمنة . وأراك من الجيل الجانح إلى ما خف ، الطيب مالان اللسان ، ينفر إن ذكرته بما لم يسمع ، ويأنف إن دريته بما لم يحفظ . وهو من اللغة في أبيجاد ، يعيش منها على آحاد

ما أشبهك بالبخيل الذى فقد ماله بحبسه ، وخرج من دنياه إلى رمسه ، وهو لم يحسن إلى نفسه

ابراهيم الأبياري

أحمر يملوه الرماد ، وما يتصاعد منها من لهب .

* * *

فإذا انتهى الشتاء وولى ، وأقبل الربيع فرح الناس واستبشروا بانقشاع تلك الغمة وذهاب تلك الشدة . وفي برد المجوز التي هي نهاية الشتاء يقول أحدهم :

كم الشتاء بسبعة غبر بالصن والصنبر والوبر

وبآمر وأخيه مؤتمر ومعلل ومطفئ الجمر

« يتبع » محمد سيد كيلاني